

قضايا الأدب والأدباء سارتر وجائزة نوبل

والى ما يسمى كتلة الشرق ، ولكنني ولدت وربييت في اسرة بورجوازية وثقافة بورجوازية . وهذا يتيح لي ان اتعاون مع جميع الذين يريدون تقريب الثقافتين . على اني ارجو طبعا ان « يربح الافضل » ، اي الاشتراكية .

من اجل هذا لا يسعني ان اقبل اي تكريم توزعه المحاكم الثقافية العليا ، لا في الشرق ولا في الغرب ، حتى ولو كنت ادرك تماما سبب وجودها . وبالرغم من ان ميولي واضحة الاتجاه نحو الاشتراكية فاني لا يسعني كذلك ان اقبل مثلا جائزة لينين اذا اراد احد ان يمنحني اياها، وهذا ليس هو الحال .

وانا اعلم جيدا ان جائزة نوبل في ذاتها ليست جائزة ادبية للكتلة الغربية ، ولكنها تصبح ما يفعل بها ، ويمكن ان تقع احداث ليس اعضاء الاكاديمية السويدية هم الذين يقررونها .

من اجل هذا ، تبدو جائزة نوبل ، في الوضع الراهن ، اشبه بتكريم مخصص لكتاب الغرب ولمصاة الشرق . فمثلا لم يظفر بها نيرودا الذي هو احد كبار شعراء اميركا الجنوبية . ولم يتحدث ما نحو الجائزة اي حديث جدي عن لويس اراغون الذي يستحقها مع ذلك كل الاستحقاق .

ومن المؤسف ان تعطى الجائزة لباسترنالك قبل ان تعطى لشولوخوف ، وان يكون الاثر السوفياتي الوحيد الذي توجهت اثرا قد طبع في الخارج ومنع في بلد المؤلف الاصلي . وقد كان بالامكان اقامة توازن ببادرة مشابهة في الاتجاه الاخر . وفي حرب الجزائر ، حين وقفنا « بيسان ال ١٢١ » كنت اقبل الجائزة بمرقان الجميل لو منحتها ، لانها آنذاك لن تكون مشرفة لي وحدي بل للحرية التي كنا نناضل من اجلها . ولكن هذا لم يحدث ، وانا لا اعطى الجائزة الا بعد انتهاء المعركة .

ان في تحليل اسباب الاكاديمية السويدية لمنح الجائزة اشارة الى الحرية : وهذه كلمة تدعو الى تفسيرات عديدة . فليس المقصود بها في الغرب الا حرية عامة : اما انا فافهم بها حرية محسوسة تتلخص بحق المرء في ان يملك اكثر من زوج جرابان وان ياكل حتى الشبع . ويبسود لي اقل خطرا ان ارفض الجائزة من ان اقبلها . فاذا قبلتها ، اعرض نفسي لما اسميه « استرداد موضوعيا » . وقد قرأت في مقال « الفيغارو ليتيرير » اني « لن احاسب على ماضي سياسي هو موضع جدال ونقاش » وانا اعلم ان هذا المقال لا يعبر عن رأي الاكاديمية ، ولكنه يظهر في وضوح الاتجاه الذي سيفسر به قبولي للجائزة في بعض اوساط اليمين . وانا اعتبر هذا « الماضي السياسي الذي هو موضع جدال ونقاش » ما يزال صالحا ، حتى ولو كنت مستعدا ان اعترف ببعضه اخطاء ارتكبت وسط رفاقي .

ولست اقصد بهذا ان جائزة نوبل هي جائزة « بورجوازية » ، ولكن هذا هو التفسير البورجوازي الذي ستقدمه بسلا ريب اوساط اعرفها جيدا .

واخيرا ، انطرق الى موضوع المال : وهو شيء ثقيل جدا تضعه الاكاديمية على كتفي الفائز حين ترفق التكريم بمبلغ ضخم ، وقد بلبنتني هذه القضية . فاما ان يقبل المرء الجائزة ويستطيع بالبلغ ان يساعد منظمات او حركات يعتبرها هامة : وقد فكرت شخصيا بلجنة « ابارتيد » في لندن .

واما ان يرفض الجائزة بسبب مبادئ عامة ، فيحرم هذه الحركة من مساعدة هي محتاجة اليها . ولكنني اعتقد ان هذا اشكال مزيف . انني ارفض طبعا مبلغ ال ٢٥٠ الف كورون لانني لا اريد ان اصبح مؤسسة ، لا في الشرق ولا في الغرب . ولكن ليس بالامكان كذلك ان

نشرت الصحف السويدية نص مقابلة صحفية ادلى بها جان بول سارتر بعد رفضه جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦٤ ، وهذا هو نص حديثه الذي يفسر فيه اسباب رفضه الجائزة :

« انني آسف ان تكون القضية قد اتخذت مظهر فضيحة : لقد منحت جائزة فرغستها . وكل ما في الامر انني لم ابغ في وقت مبكر ما كان يهيا . وحين رايت في جريدة « الفيغارو ليتيرير » بتاريخ ١٥ تشرين الاول ، بتوقيع مراسل الجريدة في السويد ، ان اختييار الاكاديمية السويدية كان متجها نحوني ، ولكنه لم يؤكد بعد ، تصورت انني اذا كتبت رسالة للاكاديمية ، كان بإمكانني ان اضع النقاط على الحروف وان الحديث عن هذا ينقطع نهائيا . وهكذا فعلت ، وارسلت رسالتي في اليوم التالي .

وكننت اجهل آنذاك ان جائزة نوبل تمنح من غير اخذ رأي المعنسي، وكننت اعتقد ان الاوان قد آن لمنع ذلك . ولكنني افهم الا تتمكن الاكاديمية السويدية ، حين تختار شخصا ، من ان تتراجع عن ذلك . والاسباب التي من اجلها اعتذر عن قبول الجائزة لا تتعلق لا بالاكاديمية السويدية ، ولا بجائزة نوبل نفسها ، كما شرحت الامر في الرسالة الموجهة الى الاكاديمية . وقد شرحت فيها طائفتين من الاسباب: اسباب شخصية واسباب موضوعية .

اما الاسباب الشخصية فهي التالية : ان رفضي ليس عملا مرتجلا، فقد سبق ان رفضت دائما التكريبات الرسمية . فحين عرض علي بعد الحرب ، عام ١٩٤٥ ، وسام جوقة الشرف ، رفضت بالرغم من انه كان لي اصدقاء من الوزراء . وكذلك لم ارجب يوما في دخول « كولج دو فرانس » كما اوحى لي بعض اصدقائي ان افعل .

وهذا الموقف قائم على مفهومي لعمل الكاتب . ان الكاتب الذي يتخذ مواقف سياسية واجتماعية او ادبية ينبغي الا يعمل الا بوسائله ، اي الكلمة المكتوبة . وجميع التكريبات والامتيازات التي يمكن ان يتلقاها تعرض قراءه لضغط لا اعتبره مرغوبا فيه . وليس الامر سواء اذا وقعت « جان بول سارتر » واذا وقعت « جان بول سارتر » ، الحائز على جائزة نوبل » .

ان الكاتب الذي يقبل اكراما من هذا النوع ، يلزم الجمعية او المؤسسة التي كرمته : فان نعاطفي مع رجال المقاومة الفنزويليين مثلا لا يلزم سواي ، بينما اذا انحاز الحائز على جائزة نوبل جان بول سارتر الى المقاومة الفنزويلية ، فانه يجرمه جائزة نوبل برمتها ، بصفتها مؤسسة .

وعلى هذا ، فانه ينبغي للكاتب ان يرفض ان يتحول الى مؤسسة، حتى ولو تم ذلك بافضل الاشكال تشريفا وتكريما ، كما هو الحال . وهذا الموقف هو بالطبع موقفني وحدي ، ولا يحتمل اي نقد للذين سبق ان توجهوا بالجائزة ، وانا اكن كثيرا من الاحترام والاعجاب لعهد من الفائزين الذين تشرفت بمعرفتهم .

واما اسبابي الموضوعية فهي التالية :

ان المعركة الوحيدة الممكنة حاليا في الجبهة الثقافية هي من اجل التعايش السلمي بين الثقافتين ، ثقافة الشرق وثقافة الغرب . وانا لا اقصد ان من الواجب ان تتعاقب الثقافتان ، فانا اعرف جيدا ان المجابهة بينهما يجب بالضرورة ان تتخذ شكل صراع ، ولكن يجب ان تقوم بين البشر والثقافات ، من غير تدخل المؤسسات .

وانا شخصيا اعاني معاناة عميقة من التناقض بين الثقافتين : وانا مصنوع من هذه التناقضات . ان ميلي يتجه من غير شك الى الاشتراكية

يطلب من انسان أن يرفض ، مقابل ٢٥٠ ألف كورون ، مبادئ ليست هي مبادئه وحده ، وانما يشاركه فيها جميع رفاقه .
وهذا ما جعل منحى الجائزة ورفضها لها في وقت واحد امرين شاقين على حد سواء .

واود ان انهي هذا التصريح بنحية ود الى الجمهور السويدي «

ردود الفعل الاجنبية

هذا هو نص التصريح الذي سلمه الفيلسوف الفرنسي سارتر لنشره السويدي «كارل غوستاف جورستروم» في السفارة السويدية في باريس ، فنقله هذا الاخير الى الصحف السويدية . وقد قال سارتر انه فضل هذه الصيغة ليتفادى ما قد يحدثه مؤتمر صحفي من سوء التفاهم .

وقد نشرت جريدة «راجانس نيهتر» السويدية نص التصريح ، وخصصت واحدا وعشرين عمودا من صحيفتها لمعالجة « قضية جائزة نوبل وسارتر » . وقد كتب مدير الجريدة مقالا افتتاحيا اتى فيه على الكاتب الفرنسي وهناك لانه « لم يميز ولم يفصل بين اعماله واقواله ، ولم يتنازل عن طبعه ك « ذئب متوحد » ليحضر المادب ويسلي فئسة « السنوب » في عالم الادب وازافت الجريدة ان جائزة نوبل تنسب الى عالم شكلي ، اجوف ، لا معنى له » .

وتعليقا على مبلغ الجائزة ، قالت الجريدة : « ان المال ، بالنسبة لسارتر ليس اكثر من حبات رمل ينثرها على « سيمون » الجميلة (وتقصد سيمون دوبوفوار !) اما ردود فعل اعضاء الاكاديمية السويدية فلم تظهر حتى الان . غير ان السكرتير الدائم قد اوضح ان المبلغ (الذي يعادل ما يزيد عن ٥٣ الف دولار) فسيعود الى مؤسسة نوبل ، وفق قوانينها الجارية .

وصرحت جريدة « ستوكهولم تيدنيجن » في ستوكهولم بانها تقدر تماما رفض سارتر للتكريمات وطرحة كل ما هو « على الموضة » . وقالت : « ان موقفه تعبير عن ايمان بهذه الجموع المغفلة التي ناضل من اجل حريتها . وليس غريبا ان يرى في جائزة نوبل للادب تعريفا غير صحيح لنفسه » .

اما صحيفة « سفانسكا داغلاديت » السويدية فقد عبرت عن قلقها « للسابقة الخطرة » التي خلفها سارتر ، وقالت : « اذا عمد كتاب اخرون من وزن سارتر واهميته الى رفض الجائزة فسي المستقبل ، فستجد الاكاديمية السويدية نفسها في وضع مرتبك » .

وكتبت جريدة « التايمس » اللندنية المحافظة تقول : « ان منح جائزة رسمية يعني غالبا ان المؤلف قد كتب خير كتبه ، وان عظيمة هادئة تحل عنده محل التمرد ... ولا شك في ان رفض سارتر يشير الى ان مؤلف « الكلمات » يخشى ان يوصف قبل الاوان بأنه شيخ الادب السن » .

وقالت « الديلبي تلغراف » اللندنية : « اذا كان الاسلوب قد اتخذ مقياسا ، فان جان بول سارتر لن يكون فائزا متميزا بالنسبة للذين فازوا بجائزة نوبل » .

وخصصت الصحف الفرنسية مكانا بارزا للتحديث عن مواقف سارتر السياسية والادبية ولم يصدر معظمها حكما على قرار مؤلف « دروب الحرية » برفض الجائزة . غير ان بيار هنري سيمون الناقد المعروف كتب يقول :

« ان اي وسواس من وسواس الصدق والامانة لا يجبر سارتر على رفض هذا الفارق . فلقد توجت الاكاديمية السويدية كتابا وعلماء من الشيعيين ، بل من السوفيات ، ونعتقد ان سارتر الذي لا ينتمي الى الحزب الشيوعي لم يوفق في ان يعطيهم درسا في الثبات وعدم التغير . فهل يمكن لهذا النجاح الجديد ان يقنع سارتر بان المسرع لا يستطيع تماما ان يتوضع خارج النظام الحضاري الذي ولد فيه ، وانه ليس ثمة في الحقيقة اي نظام ينتمي كل الانتماء الى الشر ؟ »
واما « الاومانيتيه » جريدة الشيوعيين الفرنسيين فقد اکتفت

بأيراد تصريح سارتر الى الصحافة السويدية بلا ادنى تعليق . ولكن « اتحاد الكتاب السوفيات » في موسكو قد عبر بواسطة الناطقة باسمه السيدة « انغوردينيكوف » عن دهشته للرفض : « اننا لا نعرف الاسباب التي دفعت سارتر الى هذا ، ولكن دهشتنا كبيرة ! »

وعقب اعلان منح الجائزة ، ظل الصحفيون الفرنسيون ساعات يطاردون سارتر من غير ان ينجحوا في لقائه . ولكن احد مذيعي الراديو تمكن من مقابلته وحصل منه على هذه العبارة : « لا شيء في اليد ، لا شيء في الجيب » هذا هو شعاري الذي ينبغي ان يحمله كسل اديب ملتزم » .

ردود الفعل العربية

وكتب صلاح عبد الصبور في « الاهرام » يقول ان الجائزة تأخرت عن اوانها سنوات طويلة ، حين نالها من هم دون سارتر مكانة في عالم الادب والفكر ، وسارتر هو عبقرى العصر الذي يتقدم اسمه اسم جميع الذين نالوا الجائزة منذ عشر سنوات . وازداد الكاتب يقول : « ان سارتر الى مكانته الادبية رجل مواقف يضع كل وزنه الادبي في قضية قضية الحرية والحق اينما كانت » وانهى مقاله بقوله : « لقد كان مخلصا حين رفض الجائزة » .

وفي جريدة « الجمهورية » القاهرة ، قال محمود تيمور ان سارتر قد اخطأ خطأ كبيرا برفضه لجائزة نوبل ، لانه قابل مجاملة وتقديرا « بسلوك لا مجاملة فيه ولا تقدير » .

وقال نجيب محفوظ : « لو كنت في منزلة سارتر ومستوى فكره وعبقريته وتأثيره الشامل في العالم ، فاني كنت ارفض الجائزة بالطبع ، لانه لا يجوز ان ياخذها قبلي في تلك الحال ادباء كشتاينيك والبير كامو وونستون تشرشل ... » .

وقال الدكتور لويس عوض ان موقف سارتر من جائزة نوبل لا يمكن الحكم عليه بالصواب والخطأ وانما يمكن فقط الوقوف عند دلالاته . فمن الناحية العملية لم يفقد سارتر شيئا الا مبلغ ٢٠ الف جنيه استرليني . اما الجائزة ذاتها فسيذكر التاريخ انها عرضت عليه ثم رفضها ... وهذا الرفض يؤكد كرامة الاديب في كل بلد من بلاد العالم ، ويؤكد ان القرن العشرين فيه قيادات لا تخضع لآراء المال .. وقد اثبت سارتر انسه « رجل مواقف » بحق ، بل هو رجل مواقف القرن العشرين . ومنبع هذا هو نفس الفلسفة الوجودية التي يؤمن بها ، والتي تقوم على فكرة تحمل الانسان - الجدير بصفة الانسانية - للمسؤولية عن كافة ابناء الجنس البشري .

وقال الدكتور مصطفى محمود تعليقا على رفض سارتر الجائزة : يبدو ان المسألة كلها حركة دعابة لا اكثر ولا اقل ! ...

اما انيس منصور فقال : ان رفض سارتر هو موقف صائب مثبته بالمنة من وجهة نظر فلسفته . فسارتر يؤمن اولا بانه حر ، وانه تبعسا لذلك مسؤول عن كل فعل يقوم به ، وهو لا يريد من احد ان يشترك معه في تحمل مسؤولية افعاله . وقد اصاب عندما رفض ان يربط اسمه باسم مؤسسة نوبل التي يدمفها ويدينها بانها وقفت دائما ضد فلسفات التحرر والتقدم .

مكتبة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا

احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة

الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .